

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصِيفَتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣
فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [المُرسلات: 1 - 7]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا خَتِمَتْ سُورَةُ الْإِنْسَانِ بِذِكْرِ مَا أُعِدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْمَلِكِ الْكَبِيرِ، وَمَا أُعِدَّ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْأَغْلَالِ وَالسَّعِيرِ، وَتَذَكِيرِ رَفِيقٍ يَفْتَحُ لِلرَّاغِبِينَ بَابَ اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْمَسِيرِ، وَقَدْ قُبِلَ ذَلِكَ بِتَكْذِيبِ الْكَفَّارِ؛ أَعَقَبَهَا بِالْمُرْسَلَاتِ لِقَرَعِ الْأَسْمَاعِ بِصَرْخَةِ الْإِنذَارِ، وَالتَّوَكِيدِ عَلَى أَنَّ مَا أُمْهِلُوا لَهُ وَاقِعٌ، وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ؛ لَتَكُونَ بِذَلِكَ كَالرَّعْدِ بَعْدَ النَّسِيمِ، وَكَالْصَّيْحَةِ بَعْدَ الْهَمْسِ، فَانْتَظِمَ التَّرْغِيبُ مَعَ التَّرْهيبِ فِي سَلَكٍ بَيَانِيٍّ عَجِيبٍ⁽¹⁾.

من يَسْطِ فِي
ذِكْرِ الْإِكْرَامِ إِلَى
صَيْحَةٍ زَاجِرَةٍ
بُوقُوعِ الْإِنْتِقَامِ

❁ شَرْحُ الْمُرْسَلَاتِ:

(1) ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾: أَوَّلُ (رَسَلٍ) يَدُلُّ عَلَى الْإِنْبِعَاثِ وَالْإِمْتِدَادِ⁽²⁾، فَالرَّسَلُ: الْإِنْبِعَاثُ عَلَى التُّؤَدَةِ، فَيُقَالُ: نَاقَةُ رَسَلَةٍ: سَهْلَةُ السَّيْرِ، وَشَعْرَ رَسَلٍ: مُسْتَرَسِلٌ⁽³⁾، وَاسْتَرَسَلَ الشَّعْرُ: صَارَ سَبْطًا، وَاسْتَرَسَلَ إِلَى فُلَانٍ، أَي: انْبَسَطَ، وَاسْتَأْنَسَ، وَتَرَسَلَ فِي الْأُمُورِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْمُنَاطِقِ: اتَّأَدَ، وَتَمَهَّلَ، وَتَوَقَّرَ، وَتَنَبَّأَ⁽⁴⁾.

ومنه الرَّسُولُ: الْمُنْبَعِثُ، وَالَّذِي يَتَابِعُ أَخْبَارَ الَّذِي بَعَثَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ:

(1) أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ: 372 / 10، وَالْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرِّ: 164 / 21، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ:

419 / 29، وَالزَّحِيلِيُّ، التَّفْسِيرُ النَّبِيُّ: 310 / 29.

(2) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (رَسَلٌ).

(3) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَالرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَالسَّمِينُ، عُمدَةُ الْخَفَاطِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (رَسَلٌ).

(4) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (رَسَلٌ).

جاءت الإبل رَسَلًا، أي: متتابعة، ويُتصوَّر منه الرَّفْق تارةً، فيقال: على رِسلك؛ إذا أمرته بالرفق، وتارةً الانبعاث، فاشتقَّ منه الرَّسول⁽¹⁾.

والرَّسول يقال للواحد والجمع، فالواحد كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، وللجمع: ﴿فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 16]، وجمع الرَّسول: رُسُل، وجمع الرِّسالة: الرِّسائل⁽²⁾، ورُسُلُ الله تعالى تارةً يُراد بهم: الأنبياء، وتارةً يُرادُّ بهم: الملائكة⁽³⁾، يقال: راسلُهُ مراسلة، فهو مُراسِل، والرَّسول: اسمٌ للرِّسالة واسمٌ للمرسل⁽⁴⁾.

والإرسال: التَّوجِيه، وقد يكون بتَسْخِيرٍ، كما هو في إرسالِ الرِّيح، وقد يكون ببَعْثِ مَنْ له اختيار، نحو إرسالِ الرُّسل، والإرسالُ يُقابِلُ الإِمساك، وأرسل الشَّيء: أطلقه، وأَهْمَلُهُ⁽⁵⁾، والمُرسلاتُ في قول الله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ يجوزُ أن يُرادَ بها الأنبياء، أو الملائكة، أو الرِّياح⁽⁶⁾.

(2) ﴿عُرْفًا﴾: أصل (عرف) يدلُّ على سكون النَّفس وطمأنينَتِها⁽⁷⁾، والمعرفة والعِرفان: العلم وإدراك الشَّيء بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ⁽⁸⁾، وهو ضدُّ الإنكار؛ لأنَّ النَّفس إذا أنكرت شيئاً استوحِشتْ منه، وإذا عرَفَتْهُ: سَكَنَتْ له، واطمأنَّت، يقال: عَرَفَ الشَّيءَ يَعْرِفه معرفةً وعِرفاناً، واعْتَرَفَه: علمه، والمعروفُ: ضدُّ المُنْكَر، والعُرف: ضدُّ النُّكَر⁽⁹⁾، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾: متتابعاتٍ كعُرفِ الفرسِ⁽¹⁰⁾.

(3) ﴿فَالْعَصْفُ عَصْفًا﴾: العَصْفُ: بقلُّ الزَّرْعِ⁽¹¹⁾، العَصْفُ والعَصِيفَةُ: الذي يُعَصَفُ مِنَ الزَّرْع، ويقال لحطام النَّبْتِ المتكسِّر: عَصْفٌ، وعاصِيفَةٌ ومُعَصِيفَةٌ: تَكْسِرُ الشَّيءَ، فتجعله

(1) الجوهرِيُّ، الصَّحاح، والزَّاعِب، المفردات، والسَّمين الحليُّ، عُمدَةُ الحَقَّاف: (رسل).

(2) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهرِيُّ، الصَّحاح، والزَّاعِب، المفردات: (رسل).

(3) الزَّاعِب، المفردات، والسَّمين الحليُّ، عُمدَةُ الحَقَّاف: (رسل).

(4) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهرِيُّ، الصَّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (رسل).

(5) الزَّاعِب، المفردات، والسَّمين الحليُّ، عُمدَةُ الحَقَّاف، وابن منظور، لسان العرب: (رسل).

(6) للاوردي، النكت والعيون: 175 / 6.

(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عرف).

(8) الزَّاعِب، المفردات: (عرف).

(9) الجوهرِيُّ، الصَّحاح، وابن فارس، للجمل، وابن منظور، لسان العرب: (عرف).

(10) البغويُّ، معالم التَّنْزيل: 301 / 8، والخازن، لباب التَّأويل في معاني التَّنْزيل: 382 / 4.

(11) الجوهرِيُّ، الصَّحاح: (عصف).

كَعَصِفٍ، وَعَصَفَتْ بِهِمُ الرِّيحُ تَشْبِيهًا بِذَلِكَ⁽¹⁾، وَعَصَفْنَا الزَّرْعَ نَعَصَفَهُ، أَي: جَرَزْنَا وَرَقَهُ
الَّذِي يَمِيلُ فِي أَسْفَلِهِ لِيَكُونَ أَخْفَ لِلزَّرْعِ، وَإِنْ لَمْ يُفْعَلْ مَالٌ بِالزَّرْعِ⁽²⁾.

وَمَكَانٌ مُعَصِفٌ، أَي: كَثِيرُ الزَّرْعِ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ، أَي: اشْتَدَّتْ، فَهِيَ رِيحٌ عَاصِفٌ
وَعَصُوفٌ، وَيَوْمٌ عَاصِفٌ، أَي: تَعَصِفُ فِيهِ الرِّيحُ⁽³⁾، وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَالْعَصِيفَتِ
عَصَفًا﴾، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هِيَ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْهُبُوبِ⁽⁴⁾.

(4) ﴿وَالنَّشِيرَاتِ نَشْرًا﴾: أَصْلُ (نَشَرَ) يَدُلُّ عَلَى فَتْحِ شَيْءٍ وَتَشَعُّبِهِ⁽⁵⁾، وَنَشَرَ الثَّوْبَ،
وَالصَّحِيفَةَ، وَالسَّحَابَ، وَالنُّعْمَةَ، وَالْحَدِيثَ، وَالْمَتَاعَ وَغَيْرَ ذَلِكَ يَنْشُرُهُ نَشْرًا: بَسَطَهَا،
وَالنَّشْرُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ، وَقَدْ نَشَرَتِ الْأَرْضُ، فَهِيَ نَاشِرَةٌ: أَنْبَتَتِ الْكَلَأَ الْيَاسِسَ، وَنَشَرَتِ
الْخَبَرَ أَنْشَرَهُ: أَدْعَتْهُ، وَانْتَشَرَ الْخَبَرُ: ذَاعَ⁽⁶⁾، وَنَشَرَ الْمَيِّتُ يَنْشُرُ نَشُورًا، أَي: عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَمِنْ ذَلِكَ: يَوْمُ النُّشُورِ، وَأَنْشَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: أَحْيَاهُمْ، وَنَشَرَ الْمَيِّتُ نَشُورًا، أَي: بَعَثَهُ اللَّهُ
تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْيَهُ النُّشُورُ﴾ [الله: 15]، أَي: إِلَيْهِ الْمَبْعُوثُ وَالْمَرْجِعُ⁽⁷⁾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّشِيرَاتِ نَشْرًا﴾، أَي: الرِّيحُ اللَّيِّنَةُ، أَوِ الرِّيحُ الَّتِي يُرْسِلُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ، فَتَنْشُرُ السَّحَابَ، وَتَأْتِي بِالْمَطَرِ، أَوِ الْمَلَائِكَةُ يَنْشُرُونَ الْكُتُبَ وَدَوَاوِينَ
الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽⁸⁾.

(5) ﴿عُذْرًا﴾: أَصْلُ (عَذَرَ) مِنَ الْعَذَرَةِ: وَهِيَ الشَّيْءُ النَّجِسُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِقُلْفَةِ الرَّجُلِ
وَالْمَرْأَةِ عَذْرَةٌ، يُقَالُ: عَذَرْتُ الصَّبِيَّ: طَهَّرْتَهُ، وَأَزَلْتُ عَذْرَتَهُ⁽⁹⁾، وَالْعُذْرُ: تَحَرِّيُ الْإِنْسَانِ مَا
يَمَحُو بِهِ ذَنْبَهُ، وَيُقَالُ: عُذِّرَ وَعُذِّرَ⁽¹⁰⁾، وَاعْتَذَرَ بِمَعْنَى أَعَذَرَ، أَي: صَارَ ذَا عُذْرٍ⁽¹¹⁾، وَالْمَعْذَرَةُ:

(1) الزَّاعِبُ، الْفَرْدَاتُ: (عَصَفُ).

(2) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (عَصَفُ).

(3) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عُمدَةُ الْخُفَاطِ: (عَصَفُ).

(4) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ: (عَصَفُ)، وَالبَغَوِيُّ، معَالِمُ التَّنْزِيلِ: 301/8.

(5) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (نَشَرَ).

(6) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالزَّاعِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ، عُمدَةُ الْخُفَاطِ: (نَشَرَ).

(7) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ، عُمدَةُ الْخُفَاطِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (نَشَرَ).

(8) الْبَغَوِيُّ، معَالِمُ التَّنْزِيلِ: 301/8، وَالْخَازِنُ، لِبابِ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّنْزِيلِ: 382/4.

(9) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عُمدَةُ الْخُفَاطِ: (عَذَرَ).

(10) الزَّاعِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عُمدَةُ الْخُفَاطِ: (عَذَرَ).

(11) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (عَذَرَ).

اسمٌ على مَفْعِلَةٍ مِنْ عَذَرَ يَعْذِرُ⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾، أي: لِلْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ⁽²⁾، وأيضًا هما مَصْدَرَانِ لـ (عَذَرَ)؛ إذا محا الإِسَاءَةَ، و(أَنْذَرَ)؛ إذا خَوَّفَ⁽³⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

ابتدأ الله ﷻ هذه السُّورَةَ الْكَرِيمَةَ بِالْقَسَمِ بِطَوَائِفِ عِدَّةٍ مِنْ مخلوقاته سبحانه، كالقسم بالملائكةِ الْمُرْسَلَةِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ سبحانه، وبالرياحِ الشَّدِيدَةِ الْهَبُوبِ الْمُهْلِكَةِ الْمَدْمُورَةِ، وبهذه الرياحِ اللَّيْنَةِ الَّتِي تَنْشُرُ السَّحَابَ، وتأتي بالمطر، وبالملائكةِ كذلك، أو آي القرآنِ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وبهذه الملائكةِ الَّتِي تَتَلَقَّى الْوَحْيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَنْزِلُ بِهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ﷺ؛ لِتَبْلِيغِ النَّاسِ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ إِعْذَارًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى خَلْقِهِ وَإِنْذَارًا مِنْهُ إِلَيْهِمْ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ ﷻ حُجَّةٌ بَعْدَ التَّبْلِيغِ وَالْإِنْذَارِ، وَلِلتَّأْكِيدِ كَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ الْمَقْسَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَعْدِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ نَازِلٌ وَمَحَقَّقٌ لَا مُحَالَةَ⁽⁴⁾.

❁ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

سرُّ استهلالِ السُّورَةِ بِأَسْلُوبِ الْقَسَمِ وَبَيَانُ غَرَضِهِ:

افتتاح السُّورَةِ بِأَسْلُوبِ الْقَسَمِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ مَعَانٍ هُوَ حَقِيقٌ بِأَن يُعْظَمَ، وَيُنْظَرُ لَهُ بِعَيْنِ الْإِهْتِمَامِ وَالْإِعْتِبَارِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْقَسَمَ بِالشَّيْءِ دَلِيلُ أَهْمِيَّتِهِ، وَأَهْمِيَّةِ جَوَابِ الْقَسَمِ⁽⁵⁾.

القسم بهذه
المخلوقات أكبر
دليل على حقيقة
البعث والجزاء

تنبيه على جلالة
قُدْرِ الْقَسَمِ بِهِ،
وتعظيم لشأن
القسم عليه

(1) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ: (عَذَرَ).

(2) الْبَغَوِيُّ، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ: 304 / 8.

(3) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ: 274 / 5.

(4) ابْنُ جَرِيرٍ الطَّيْبِيُّ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 580 - 590، وَنُخْبَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، التَّفْسِيرُ لِلْبَيْسَرِ،

ص: 580.

(5) مُحَمَّدُ الْهَلَالُ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الثَّرَوِيُّ الْجَامِعُ: 227 / 12.

وفي مستهلّ سورة المُرسلات "أقسم تعالى بخمسة أشياء؛ تنبيهًا على جلالة قدر المقسم به، وتعظيمًا لشأن المقسم عليه، فأقسم الله بالرياح التي تحمل الرحمة والعذاب، وتسوق للعباد الخير أو الشرّ، وبالملائكة الأبرار الذين يتنزّلون بالوحي للإعذار والإنذار؛ أقسم على أن أمر القيامة حق لا شك فيه، وأن ما أوعده الله تعالى به المكذّبين من مجيء الساعة والثواب والعقاب كائن لا محالة، فلا ينبغي الشك والامتراء"⁽¹⁾، "فالمقصود من هذا القسم تأكيد الخبر"⁽²⁾.

معنى التعريف ودلالته:

في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾، ﴿وَالنَّشِيرَاتِ﴾، ﴿فَالْفَرَقَاتِ﴾، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ﴾ يجوز أن يكون التعريف للعهد العلمي، فيكون المراد نوعًا خاصًا من المرسلات والعاصفات والنّاشرات... إلخ، على أن المقصود به أصناف من الرياح والملائكة. ويجوز أن يكون التعريف للجنس في ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، فيقال فيه: "قد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه كلّ ما كانت صفته ما وصف، فكل من كان صفته كذلك؛ فدخل في قسمه ذلك ملكًا أو ريحًا أو رسولًا من بني آدم مُرسلاً"⁽³⁾.

جواز الحمل
على العهد
والجنس؛
لتذهب في
تصوره النفس
كلّ مذهبٍ

ونحو ذلك في ﴿وَالنَّشِيرَاتِ﴾، فيقال: إنّ الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرًا، ولم يخصّص شيئًا من ذلك دون شيء، فالرياح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كلّ ما كان ناشرًا"⁽⁴⁾.

(1) ابن علي محمد، مختصر التفسير: 3 / 476.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 419.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24 / 125.

(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24 / 127.

وكذلك في ﴿فَالْفَرَقَتْ﴾، فقد "أَقَسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحقِّ والباطل، ولم يَخْصِصْ بذلك مِنْهُنَّ بَعْضًا دون بعض، فذلك قَسَمٌ بِكُلِّ فارقة بين الحقِّ والباطل، مَلَكًا كان، أو قرآنًا، أو غير ذلك" (1).

سُرُّ إِيثارِ التَّعبيرِ بـ ﴿عُرْفًا﴾:

أصل ﴿عُرْفًا﴾: "متتابعة كتتابع شَعْرِ العُرْفِ، فَحُذِفَ (متتابعة)، فبقي (كتتابع)، ثُمَّ حُذِفَ المِثْلُ، فبقي (تتابع شَعْرِ العُرْفِ)، ثُمَّ حُذِفَ (التتابع) ثُمَّ (الشَّعرُ)، فبقي ﴿عُرْفًا﴾" (2) على التَّشْبِيهِ، "والمعنى على التَّشْبِيهِ؛ أي: حال كونها عُرْفًا، أي: شبيهة بعُرْفِ الفَرَسِ مِنْ حَيْثُ تَلَا حُقُّهَا وَتَتَابَعُهَا كَمَا أَنَّهُ كَذَلِكَ، أو على أَنَّهُ مصدر كَأَنَّهُ قال: والمرسلات إرسالات، أي: متتابعة" (3).

والحاصل أَنَّ التَّعبيرَ بـ ﴿عُرْفًا﴾ أفاد معنى التَّشْبِيهِ الذي لَا يُفِيدُهُ التَّعبيرُ بـ (رَسَلًا)، وإن كان في هذا الأخير جناسُ الاشتقاق، وفيه موافقةٌ لِنَسَقِ ما بعده.

بِلاغةُ التَّشْبِيهِ في ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾:

العُرْفُ مأخوذٌ مِنْ عُرْفِ الفَرَسِ، وهو اسم للشَّعرِ المتتابعِ الثَّابتِ في مَحْدَبِ الرِّقْبَةِ (4).

فقوله تعالى: ﴿عُرْفًا﴾، أي: متتابعةٌ على التَّشْبِيهِ بتتابعِ عُرْفِ الفَرَسِ، وهو الشَّعراتِ المتتابعةِ فوقِ عنقه؛ لَأَنَّهُ طَرَفٌ مستوٍ، بَعْضُهُ في إثرِ بَعْضٍ، فهو مِنْ بابِ التَّشْبِيهِ البليغِ؛ إذ شُبِّهَتِ الرِّيحُ أو الملائكةُ المرسلون في تتابعِهم بشعرِ عُرْفِ الفَرَسِ، والعربُ تقولُ:

دَقَّةُ البَيَانِ
الْقَرَأَتِي فِي انتِقَاءِ
الْأَلْفَاظِ الْمُلْدِمَةِ
لِسِيَاقَتِهَا

تَجْرِي الرِّيحُ
مُتَتَابِعَةً
كَالعُرْفِ، بَيْنَ
لُطْفٍ وَتَوْسُطٍ
وَعُضْفٍ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24 / 128.

(2) الطَّبِيبُ، فتوح الغَيْبِ: 16 / 221.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10 / 332.

(4) حجازي، التفسير الواضح: 3 / 802.

يركب النَّاسُ إِلَى فَلَانٍ عُرْفًا وَاحِدًا؛ إِذَا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ، فَأَكْثَرُوا⁽¹⁾. وكان الأصلُ: والمرسلاتِ متتابعةٌ كالْعُرْفِ، وهو عُرْفُ الدَّابَّةِ، كالفَرَسِ والضَّبِّعِ، أي: الشَّعْرُ المعروف على قَفَاها، فحذف (متتابعة) لدلالة التشبيه عليه، ثمَّ حذف أداة التشبيه مبالغةً⁽²⁾.

توجيه نَضْبِ ﴿عُرْفًا﴾، وأثره في المعنى:

في انتصابِ قوله تعالى: ﴿عُرْفًا﴾ أوجه، ولكلُّ منها أثره في المعنى: أحدها: أن يكون انتصابُه على الحالِ مِنْ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، أي: أُرْسِلَتْ متتابعةً، يقال: جاؤوا عُرْفًا واحدًا؛ إِذَا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُوا، وتتابَعُوا، أي: يتلو بعضهم بعضًا، ومنه: عُرْفُ الفَرَسِ.

والثاني: أن يَنْتَصِبَ على المفعول له، أي: أُرْسِلَتْ للْعُرْفِ، أي: للإحسان والمعروف، والعُرْف: ضِدُّ النُّكْرِ، يقال: أَوْلَاهُ عُرْفًا، أي: معروفًا.

والثالث: أن يَنْتَصِبَ على إسقاطِ الجارِّ، أي: أُرْسِلَتْ بِعُرْفٍ، فحُذِفَ الجارُّ، وأوصل الفعل إلى المجرور، أي: أُرْسِلُوا بالمعروف⁽³⁾.

وهي معانٍ متآزرةٌ، فالأوَّلُ يَصِفُ حَالَهَا ساعةَ إِرْسَالِها، والثاني يبيِّن الغرضَ الذي مِنْ أَجله أُرْسِلَتْ، والثالث يبيِّن ما أُرْسِلَتْ به.

معنى (الفاء) ودلائلها:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَالْعَصْفُ﴾ فاء التَّفْرِيعِ، فالعاصفاتُ تَفْرِيعٌ على المرسَلاتِ، أي: تُرْسَلُ، فتعصِفُ، والعصفُ يُطلق على قُوَّةِ هبوبِ الرِّيحِ عموماً⁽⁴⁾. وقد دلَّتْ هذه الفاءُ على اتِّصالِ سُرْعَةِ جَرِيهِنَّ فِي نزولهنَّ وهبوبِهنَّ بالإرسالِ مِنْ غيرِ مُهْلَةٍ، وهي - أي: الفاء - لعطف الصِّفة على الصِّفة؛ إِذ الموصوف متَّحدٌ⁽⁵⁾.

ثراء المعاني
ووفرتها
باختلاف الإعراب

تفريع العصف
على الإرسال،
دون تزيُّت ولا
إمهالٍ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 416، وابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 383، والبروسقي، روح البيان: 280/10.

(2) الألوسي، روح المعاني: 15/ 188.

(3) المنتجب الهمداني، الكتاب الفريد: 6/ 306.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 421.

(5) شيخ زاده، حاشية على تفسير البضاوي: 8/ 452، والهرقي، حقائق الرُّوح والزَّيَّحان: 30/ 533.

توجيه الوصف بقوله: ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾ بين الحقيقة والمجاز:

تَبْتَدِرُ الْعَاصِفَاتِ
أَمْرِبَهَا، وَتُدْعِي
لِلْأَقْصِيَةِ الَّتِي
أُرْسِلَتْ بِهَا

توصف الرِّيح بالعصف - وهو الشِّدة - لإهلاكها مَنْ تُرْسَل عليهم، أو لأنها تأتي بالعصف، وهو ورق الزَّرْع وحطامه، أو تُنْعَتُ بذلك لِسُرْعَتِهَا في مُضِيَّهَا لتنفيذ أمره، قال تعالى: ﴿وَلَسَلَيَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِوَءٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: 81]⁽¹⁾، فالوصف به هنا حقيقة، أما إن أريد به الملائكة؛ فاستعمال (العاصفات) بمعنى المُسرِّعاتِ سرعةَ الرِّيح مجازٌ على سبيل الاستعارة، ولا يبعد أن يراد بالعاصفات: المذهبات المهلكات بالعذاب، الذي أُرسِلن به مَنْ أُرسِلن إليه على سبيل الاستعارة أيضاً أو المجاز المرسل⁽²⁾، ويمكن أن تكون قد شَبَّهت بالرياح في شدة السُّرعة، فيكون استعارةً مكنيةً وتخييليةً⁽³⁾.

نكتة تعديد الصِّفات، وتعيين المراد بها:

عُظُمُ الْمَوْصُوفِ
بِتَعْظِيمِ وَصْفِهِ
بِالْإِقْسَامِ،
وَتَعْدِيدِهِ إِبْرَازَ
لِصُنُوفِ الْإِنْعَامِ

أقسم الله سبحانه في أوَّل تلك السُّورة الكريمة بأشياء عظيمةٍ من خلقه، ذَكَرَ ﷻ صفاتها، ولم يَذْكُرْ أسماءها⁽⁴⁾. فأما الصِّفات؛ فهي لموصوفاتٍ أُريد أن تُعْظَم بصفاتها، وأما تعديدها؛ فإما أن يَرْجِع إلى موصوفٍ واحد، وإما إلى أكثر من موصوف، وأياً ما كان، فتعديدها دليلٌ تعظيمٍ موصوفها، وجلالة قدره، "فأقسم الله بهذه الأشياء تشریفاً لها، وتبهيهاً على ما يظهر من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بإيجادها⁽⁵⁾. ولما كان المُقسَّم به موصوفاتٍ قد حُدِثت، وأقيمت صفاتها مقامها، وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات⁽⁶⁾، ولا سيَّما ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، و﴿فَالْعَصْفَتِ﴾، و﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾، فقيل: هي

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10 / 1724.

(2) الألوسي، روح المعاني: 15 / 188.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19 / 505.

(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10 / 1723.

(5) الدَّزَّة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 10 / 376.

(6) أبو حنن، البحر المحيط: 10 / 3731.

الرِّيح، وقيل: الملائكة أو الرُّسل، و﴿عُرْفًا﴾، أي: متتالية كعُرف الفرس، واختار كونها الرِّيح ابنُ مسعود، وابنُ عباس، واختار كونها الملائكة أبو صالح عن أبي هريرة، وعن أبي صالح: أنها الرُّسل⁽¹⁾. والحاصلُ أنَّ الأوصاف الخمسة: إمَّا أن تجرِّي على الملائكة، وإمَّا على الرِّيح⁽²⁾.

فعلى القول بأنَّها الملائكة سَمَّاهم (المُرْسَلات)؛ لأنَّ الله تعالى يُرْسِلُهُم بالوحي وغيره، وسَمَّاهم (العاصِفَات)؛ لأنَّهم يعصفون كما تعصف الرِّيح في سُرعة مضيِّهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسَمَّاهم (النَّاشِرَات)؛ لأنَّهم يَنْشُرُونَ أَجْنَحَتَهُمْ في الجوّ، وينشرون الشَّرَائِعَ في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال، وسَمَّاهم (الفَارِقَات)؛ لأنَّهم يُفَرِّقُونَ بين الحقِّ والباطل.

وعلى القول بأنَّها الرِّيح سَمَّاهم (المُرْسَلات)؛ لقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الزَّوْم: 48]، وسَمَّاهم (العاصِفَات) مِنْ قوله: ﴿رَبِّحْ عَاصِفٌ﴾ [يونس: 22]، أي: شديدة، وسَمَّاهم (النَّاشِرَات)؛ لأنَّها تنشر السَّحاب في الجوّ، ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الزَّوْم: 48]، وسَمَّاهم (الفَارِقَات)؛ لأنَّها تُفَرِّقُ بَيْنَ السَّحَابِ، ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ [الزَّوْم: 48]، وأمَّا (المُلْقِيَاتِ ذِكْرًا)؛ فَهُمْ الملائكة؛ لأنَّهم يُلْقُونَ الذِّكْرَ لِلأنبياءِ ﷺ.

وأما العطف بالفاء؛ إذا كان في الصِّفات، فيدلُّ على أنَّها راجعةٌ إلى موصوفٍ واحدٍ، فإذا تكرر هذا؛ فالظاهر أنَّه أقسم أولاً بالرِّيح، فهي مُرْسَلاته تعالى، ويدلُّ عليه عطف الصِّفة بالفاء - كما قلنا - وأنَّ العصف مِنْ صفات الرِّيح في عدَّة مواضع مِنَ القرآن، والقسم الثاني فيه ترقُّ إلى أشرف مِنَ المقسم به الأوَّل، وهم الملائكة، ويكون ﴿فَالْفَرَقَاتِ﴾، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ﴾ مِنْ صفاتهم - كما قلنا في عطف الصِّفات - وإلّاوهم الذِّكْر - وهو ما أنزل الله - يصحُّ إسنادُهُ إليهم⁽³⁾.

نكتة المغايرة بين الواو في ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾، والفاء في ﴿فَالْعَصِفَاتِ﴾ و﴿فَالْفَرَقَاتِ﴾:

أوتثرت الفاء عند إرادة عطف الصِّفة على الصِّفة؛ لأنَّ الموصوف متَّحد، أمَّا العدولُ

(1) عطية سالم، تنمة أضواء البيان: 400 / 8.

(2) الطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 220 / 16.

(3) أبو حيَّان في كتابه: البحر للحيط: 374 / 10، والنَّهْر للمأد: 486 / 5.

الفاء لعطف
الصفات؛ تنزيلاً
لها منزلة تغيير
الذات

إلى الواو في ﴿وَالنَّشْرِتِ﴾؛ فلأنَّها غير (المُرسَلات)، فالقسمُ الأوَّل وصفهم الله بوصفَيْن يتعقَّب أحدهما على الآخر، والقسم الثاني وصفهم بثلاثة أوصاف كذلك⁽¹⁾، فعطفُهم بالفاء؛ لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات⁽²⁾. ولما كان العُصوف للعواصف يتعقَّب الهبوب؛ عطف بالفاء تعقيباً وتسبيحاً، فقال: ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾، أي: الشَّدِيدَات مِنَ الرِّيحِ عَقِبَ هُبُوبِهَا⁽³⁾، ف "لِعَدَمِ انْفِصَالِ السَّرْعَةِ عَنِ الْإِسْرَالِ؛ عُطِفَ بِالْفَاءِ"⁽⁴⁾.

أما قوله تعالى: ﴿وَالنَّشْرِتِ﴾؛ فهو استئنافُ قسمٍ آخر؛ لذلك كانت بـ (الواو)؛ لعدم ترتُّبه بسُرْعَةٍ على ما قبله⁽⁵⁾، "وَلَأَنَّ النَّشْرَ لَا يَتَّصِلُ بِالْإِسْرَالِ لَا مُحَالَةً، بَلْ يَكُونُ الْإِسْرَالُ لَغَيْرِ النَّشْرِ"⁽⁶⁾.

ولما كان حصولُ النَّشْرِ يترتَّب عليه الفَرْقُ مِنْ غيرِ مُهْلَةٍ؛ عطف عليه بالفاء، فقال: ﴿فَالْفَرْقَتِ﴾؛ لتفرُّعِ الفَرْقِ عَنِ النَّشْرِ⁽⁷⁾.

والقاء الدِّكْرِ متفرِّع على الفَرْقِ؛ لأنَّهم يَخْصُصُونَ كُلَّ ذِكْرٍ بِمَنْ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، فذِكْرُ الْكُفَّارِ بِالْتَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ بِالْعَذَابِ، وَذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّجَاةِ وَالْوَعْدِ بِالنَّعِيمِ⁽⁸⁾؛ لذا فقد عُطِفَ بالفاء على ما قبله لتفرُّعه عنه، فقال: ﴿فَالْمُلْقَتِ﴾.

سرُّ إِيثارِ الجَمْعِ بَيْنَ الرِّيحِ وَالْمَلَائِكَةِ فِي الْقِسْمِ:

جُمِعَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالْمَلَائِكَةِ؛ لوجودِ مجانسةٍ بينهما، فالملائكةُ روحانيون، فهم بسببِ لطافتِهِمْ وسُرْعَةِ حَرَكَاتِهِمْ كالرِّيحِ، ولأنَّ

بَنَاتِ الْأَرْضِ
تَحْيَا الْأَبْدَانِ،
وَبِالْوَحْيِ يَخْيَا
الْوُجْدَانُ

(1) البروسوي، روح البيان: 281/10.

(2) الألويسي، روح المعاني: 188/15.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 165/21.

(4) السيَّهات الخفاجي، عناية القاضِي: 294/8.

(5) الواحدي، التفسير البسيط: 74/23، والسيَّهات الخفاجي، عناية القاضِي: 294/8.

(6) أبو حفص النَّسْفِي، التيسير في التفسير: 162/15.

(7) السيَّهات الخفاجي، عناية القاضِي: 294/8، وابن عاشور، التحرير والتَّنوير: 422/29.

(8) ابن عاشور، التحرير والتَّنوير: 422/29.

كَلَيْهِمَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْعُلُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَطْفِ بِالْوَاوِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْطُوفُ بِهَا ذَاتًا غَيْرَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

كما أَنَّ حَيَاةَ الْأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَأَبْدَانِ الْحَيَوَانِ بِالرِّيَّاحِ، فَإِنَّهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى نُشُورًا، وَحَيَاةَ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ بِالْمَلَائِكَةِ، فَبِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ يَحْصُلُ نَوْعَا الْحَيَاةِ؛ وَلِهَذَا فُصِّلَ أَحَدُ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْآخَرِ بِالْوَاوِ، وَجُعِلَ مَا هُوَ تَابِعٌ لِكُلِّ نَوْعٍ بَعْدَهُ بِالْفَاءِ⁽²⁾.

بِادْغَةِ تَرْتِيبِ الْأَوْصَافِ عَلَى مَا جَاءَتْ عَلَيْهِ «وَالنَّشْرِتِ»، «فَالْفَرْقَتِ»، «فَالْمُلْقِيَتِ»:

إِنَّ تَرْتِيبَ مُضِيِّ الْأَمْرِ عَلَى الْإِرْسَالِ بِهِ وَالْأَمْرَ بِإِنْفَاذِهِ ظَاهِرٌ، وَأَمَّا تَرْتِيبُ الْإِقَاءِ الذِّكْرِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ - ﷺ - عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَعَ ظُهُورِ تَأَخُّرِ الْفَرْقِ عَنِ الْإِقَاءِ؛ فَلِتَأْوِيلِ الْفَرْقِ بِإِرَادَتِهِ، فَحِينَئِذٍ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْإِقَاءِ، أَوْ لَتَقَدَّمَ الْفَرْقُ عَلَى الْإِقَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يُؤَوَّلَ بِإِرَادَتِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْفَرْقَ يَحْصُلُ بِنَفْسِ نَزُولِ الْمَلَكِ بِالْوَحْيِ، الَّذِي هُوَ الْحَقُّ الْمَخَالِفُ لِلْبَاطِلِ الَّذِي هُوَ الْهَوَى وَمُقْتَضَى الرَّأْيِ الْفَاسِدِ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِهِ مَتَأَخَّرَ⁽³⁾.

وأيضاً فإنَّ إِيثارَ تَقْدِيمِ نَشْرِ الشَّرَائِعِ وَنَشْرِ النُّفُوسِ وَالْفَرْقِ عَلَى الْإِقَاءِ؛ لِلإِيْذَانِ بِكَوْنِهَا غَايَةً لِلإِقَاءِ، حَقِيقَةً بِالْإِعْتِنَاءِ بِهَا، أَوْ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ مُسْتَقِلٌّ بِالدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِحْقَاقِ الطَّوَائِفِ الْمَوْصُوفَةِ بِهَا التَّفْخِيمَ وَالْإِجْلَالَ بِالْإِقْسَامِ بَهْنٍ، وَلَوْ جِئَ بِهَا عَلَى تَرْتِيبِ الْوُقُوعِ؛ لَرَبَّمَا فَهَمَّ أَنَّ مَجْمُوعَ الْإِقَاءِ وَالنَّشْرِ وَالْفَرْقِ هُوَ الْمَوْجِبُ لِمَا ذُكِرَ مِنَ الْاسْتِحْقَاقِ⁽⁴⁾.

غَايَةُ الْإِقَاءِ نَشْرُ
الشَّرَائِعِ، وَقَطْعُ
الْأَعْذَارِ وَاللَّوَانِعِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30 / 767، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 420.

(2) ابن القيم، الصَّوَاءُ لِلنَّبَرِ: 6 / 257.

(3) الألوسي، روح المعاني: 15 / 188.

(4) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 9 / 77.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمُفْعُولِ الْمَطْلُوقِ: ﴿عَصَفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ و﴿فَرَقًا﴾:

زيادة في البيان،
وتقوية للكلام

أوثر التأكيد بذِكْرِ المَصَادِرِ زيادةً في البَيَانِ وتقويةً للكلام في قوله: ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصَفًا ٥ وَالنَّشِرَتِ نَشْرًا ٦ فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا﴾، وهو مِنَ المحسِّنات اللَّفْظِيَّة^(١)، فقولُه تعالى: ﴿عَصَفًا﴾ مفعولٌ مطلقٌ مؤكِّدٌ لعامله^(٢)؛ تأكيدًا لتحقيق الوصف؛ إذ لا داعي لإرادة رَفْعِ احتمالِ المجاز^(٣)، أي: وحقَّ الرِّياحِ المرسلات لعذاب المكذِّبين، فتَعَصَّفَهم عصفًا، وتَهَلَّكَهم إهلاكًا شديدًا، فقولُه: ﴿عَصَفًا﴾ وصفٌ مؤكِّدٌ للإهلاكِ الشَّدِيدِ^(٤).

بَلَاغَةُ الْجِنَاسِ:

تعانق جمال
البنى مع جلال
المعنى

بين ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾ و﴿عَصَفًا﴾، وبين ﴿وَالنَّشِرَتِ﴾ و﴿نَشْرًا﴾، وبين ﴿فَالْفَرَقَتِ﴾ و﴿فَرَقًا﴾: جناسُ الاشتقاق، وهو مِنَ المحسِّنات اللَّفْظِيَّةِ التي لها وَقْعٌ في الأذن، يَسْتَمِيلُها، فَتَصْفَى إِلَيْه، فَيَنْتَبِهَ العقلُ، وهو المرادُ، مَعَ ما في التَّعْبِيرِ بِالمَصَادِرِ مِنْ تأكيدٍ لِلأَوْصَافِ. **تَوْجِيهِ الْبَيِّنَاتِ فِي ﴿وَالنَّشِرَتِ نَشْرًا﴾:**

شريعتنا مَحَجَّةٌ
بيضاء، قِيْلَها
ونَهَاها سَوَاءٌ

النَّشْرُ: حَقِيقَتُهُ ضِدُّ الطَّيِّ، وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُ مجازًا في الإظهارِ والإيضاحِ، وفي الإخراجِ، ف (النَّاشِرَاتِ) إِذَا جُعِلَ وَصْفًا لِلْمَلَائِكَةِ؛ جاز أن يكون نشرهم الوحي، أي: تكرير نزولهم لذلك، وأن يكون النَّشْرُ كنايةً عن الوُضُوح، أي: بالشرائع البَيِّنَةِ^(٥).

توجيه قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ بين الاستعارة والمجاز:

نراء الدلالات
بتنوع التأويلات

الإلقاء: طَرَحُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وهو في هذا الموضع للتبيين والإفهام، فالملائكة يُلقون على الأنبياء، والأنبياء يُلقون على الأمم، والعلماء يُلقون على المتعلمين^(٦).

(1) الرَّحِيلِيُّ، للنبر: 29 / 313، والهرثي، حقائق الروح والريحان: 30 / 564.

(2) الدُّرَّةُ، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 10 / 376.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 421.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15 / 233.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 421.

(6) السَّمْعَانِي، تفسير القرآن: 6 / 126.

فالإلقاء هنا بمعنى: الإيصال والإنزال لا الطَّرَح⁽¹⁾، و﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾: الملائكة الذين يبلِّغون الوحي، وهو الذِّكْر، والإلقاء مُسْتَعَارٌ لتبليغ الذِّكْر من العالم العلويِّ إلى أهل الأرض بتشبيهه بإلقاء شيءٍ من اليدِ إلى الأرض⁽²⁾.

أما على توجيهه ﴿فَالْمُلْقِيَتِ﴾ بالرياح؛ فإنَّ الرياح الموصوفةَ بصفاتِ القَهَرِ واللُّطْفِ؛ لما كانت سبباً لتمسُّكِ العاقلِ بذكرِ الله تعالى والالتجاءِ إلى عفوهِ ورحمته وبذلِ الجهدِ في شكرِ نعمته؛ صارت تلكِ الرياحُ كأنَّها ألقَتِ الذِّكْرَ، فكان الإسنادُ إليها مجازياً⁽³⁾.

توجيهُ القراءاتِ المتواترة في قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾، وبيان وجهِ نضيهما:

قرأ رُوْحٌ عن يعقوب ﴿عُذْرًا﴾ بالضمِّ، وقرأ باقي العشرة ﴿عُذْرًا﴾ بالسُّكُونِ، وأما ﴿نُذْرًا﴾؛ فقد قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم وحمة والكسائي وخلف ﴿نُذْرًا﴾ بالسُّكُونِ، وباقي العشرة قرؤوا بالضمِّ ﴿نُذْرًا﴾⁽⁴⁾. فالنُّذْرُ بالتثقيـل والنُّذْرُ، مثل: النُّكْر والنُّكير، وهما جميعاً مَصْدَرانِ، ويجوز في النَّذيرِ ضَرْبانِ، أحدهما: أن يكون مصدرًا كالنُّكير والشَّحِيح، وعذير الحيِّ، والآخر: أن يكون فعلاً يُراد به: المنذر، كما أنَّ الأليم يُراد به: المؤلِّم، ويكون النَّذيرُ من أُنذر، كالأليم من آلَمَ، ويجوز تخفيف النُّذْر على حدِّ التَّخفيف في العُنُق والعُنُق، والأُذُن والأُذُن، والعُذْر يجوز فيه التَّخفيف والتثقيـل⁽⁵⁾، ويجوز أن يكونا جَمْعَيْنِ لعذيرٍ ونذيرٍ، ويجوز أن يكون العُذْر جَمْعَ عاذِرٍ، كشارِفٍ وشُرُفٍ، والمعنى في التَّحريكِ والتَّسكينِ واحد⁽⁶⁾.

وأما انتصابُهما؛ فهو على البَدَلِ من ﴿ذِكْرًا﴾، كأنَّه قيل: فالملقيات

كِتَابٌ جَلِيلٌ لَا
تَنْقُضِي عَجَائِظَهُ،
وَلَا يَشْبَعُ طَالِبُهُ

(1) البروسويُّ، روح البيان: 281 / 10.

(2) ابن عاشور، التَّحْريـر والتَّنْويـر: 422 / 29.

(3) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 453 / 8.

(4) ابن الجزري، النشر: 217 / 2.

(5) الفارسيُّ، الحُجَّة للقرء السبعة: 362 / 6 - 363.

(6) البغويُّ، معالم التَّنْزيل: 304 / 8.

عذراً أو نذراً، أو على المفعول مِنْ أجله، أو على أنَّهما مصدران في موضع الحال، أي: عاذرين أو منذرين، ويجوز مع الإسكان أن يكونا جَمْعَيْن⁽¹⁾، والحاصل أَنَّ الضَّمَّ في ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾، على أنَّهما جمعان لـ (عذير) بمعنى المَعْذِرَةِ، و(نذير) بمعنى الإنذار، أو بمعنى (العاذر) أو (المنذر)، والسُّكُون على أنَّهما مصدران⁽²⁾.

معنى ﴿أَوْ﴾ ودلائلها في ﴿أَوْ نَذْرًا﴾:

تنوُّع الوحي
إعذاراً وإنذاراً،
فلم يُبقِ لمحتجٍّ
أعداراً

﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ نَذْرًا﴾ للتَّنْوِيع⁽³⁾ والتَّقْسِيم⁽⁴⁾، فإنَّ المَلَكَ ينزل بالوحي مِنْ رَبِّ العالمين إمَّا "لإزالة أَعْدَارِ المعتذرين عن الإيمان؛ حتَّى لا يقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾" [الثَّائِي: 19]، وإمَّا لإنذار الكافرين والفاستقين؛ حتَّى يُقْلِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَفُسُوقِهِمْ، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النِّسَاء: 165]"⁽⁵⁾.

بلاغة الإيجاز في ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾:

الإيجاز ثوب
الإعجاز

قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ "مصدران لـ (عذر)؛ إذا محا الإساءة، و(أنذر)؛ إذا خَوَّفَ، أو جمعان لـ (عذير) بمعنى: المعذرة، و(نذير) بمعنى: الإنذار، أو بمعنى: العاذر والمنذر"⁽⁶⁾.

وهذان اللَّفْظَانِ قَدْ بَلَغَا الغَايَةَ فِي الإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ، وَحصول العظة والاعتبار، فإنَّ الذِّكْرَ الَّذِي تُلقِيهِ المَلَقِيَّاتُ هُوَ الوحي الَّذِي يبلِّغُه المَلَكُ إِلَى الأنبياء والمرسلين، فيُحيي القلوب بالذِّكْرِ، كما حَيَّيَتِ الأرضُ بِالماءِ المُنزَّلِ مِنَ السُّحُبِ المُزْجَاةِ بِالرِّيحِ.

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 374 / 10.

(2) الصَّاوِي، حاشية على تفسير الجلالين: 280 / 4.

(3) الطَّبَّيْ، فتوح الغيب: 220 / 16.

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 423 / 29.

(5) طنطاوِي، التفسير الوسيط: 234 / 15.

(6) البيضاوِي، أنوار التنزيل: 274 / 5.

وهذا الوحي "إِذَا عَذْرًا لِّلْمُعْتَذِرِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَنَوْبَتِهِمْ
وَاسْتَغْفَارِهِمْ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهِمْ لِآثَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ فِي
الْغَيْثِ، فَيَشْكُرُونَهُمَا، فَتَخْصِبُ أَرْضِيهِمْ، وَيَحْلُ الْخَيْرُ بِوَادِيهِمْ،
وَإِذَا إِذَا لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِهَا"⁽¹⁾.

فُحِذَفَ مَتَعَلِّقُ الْمَصْدَرَيْنِ، وَطَوِيقُ بَيْنِ اللَّفْظَيْنِ، وَعُلِّلَ التَّنْزِيلُ،
وَاسْتَوْعِبَتِ الْأَقْسَامُ بِالتَّفْصِيلِ، وَكُلُّ هَذَا فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ فَقَطُّ.

غَرَضُ تَطْوِيلِ الْقَسَمِ فِي مُفْتَتِحِ السُّورَةِ:

أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُفْتَتِحِ هَذِهِ السُّورَةِ بِأَقْسَامِ خَمْسَةٍ عَلَى أَنَّ
الْقِيَامَةَ وَمَا فِيهَا حَقٌّ لَا مِرَاءَ فِيهِ، وَكُلُّهُ وَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ.

وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْقَسَمِ: التَّنْبِيهِ عَلَى جَلَالَةِ الْمَقْسَمِ بِهِ⁽²⁾، وَفِي
تَطْوِيلِ الْقَسَمِ تَشْوِيقُ السَّامِعِ لَتَلَقِّي الْمَقْسَمِ عَلَيْهِ⁽³⁾، الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، وَالْوَاقِعُ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ قَسَمٍ وَمَقْسَمٍ عَلَيْهِ
مُنَاسَبَةٌ ارْتِبَاطٍ فِي الْجُمْلَةِ غَالِبًا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْسِمُ بِمَا شَاءَ عَلَى
مَا شَاءَ؛ لِأَنَّ الْمَقْسَمَ بِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَاخْتِيارُ مَا يُقْسَمُ بِهِ هُنَا أَوْ
هُنَاكَ غَالِبًا يَكُونُ لِنَوْعِ مُنَاسَبَةٍ، وَلَوْ تَأَمَّلْنَاهُ هُنَا؛ لَوَجَدْنَا الْمُقْسَمَ
عَلَيْهِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ مَكْذِبُونَ بِهِ، فَأَقْسَمَ لَهُمْ بِمَا فِيهِ إِثْبَاتُ
الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَالرِّيَّاحُ عَرَفًا تَأْتِي بِالسَّحَابِ تَنْشُرُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَطَرُ،
وَيَحْيِي اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَهَذَا مِنْ أَدَلَّةِ الْقُدْرَةِ عَلَى
الْبَعْثِ، وَالْعَاصِفَاتُ مِنْهَا بِشِدَّةٍ، وَقَدْ تَقَتَّلَعَ الْأَشْجَارَ، وَتَهْدِمُ الْبُيُوتَ
مِمَّا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَيْهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى
الْإِهْلَاكِ وَالتَّدمِيرِ، وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَعْثِ، ثُمَّ تَأْتِي
الْمَلَايِكَةُ بِالْبَيَانِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْإِعْذَارَ وَالْإِنْذَارَ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾⁽⁴⁾.

تشويقُ السَّامِعِ
إِلَى سِطْرِ
الْقُلُوبِ
وَالْمَسَامِعِ

(1) عبد اللطيف الخطيب، أَوْضَحَ التَّفَاسِيرَ: 1/ 726.

(2) الْفَخْرُ الزَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 30/ 765.

(3) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 29/ 419.

(4) عَطِيَّةُ سَالِم، تَمَّةُ أَضْوَاءِ الْبَيَانِ: 8/ 401.

عَلَّةُ الْفَضْلِ:

فَصِلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾؛ لَوُقُوعِهِ جَوَابَ قَسَمٍ، فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ سَابِقِهِ شَبَهُ كِمَالِ الْإِتِّصَالِ، فَكَأَنَّ الْقَسَمَ قَدْ حَوَى سُؤَالَ مُضْمَرًا عَنْ جَوَابِهِ، فَجَاءَ الْجَوَابُ بِغَيْرِ الْوَاوِ.

نُكْتَةُ تَصْدِيرِ جُمْلَةِ جَوَابِ الْقَسَمِ بِ (إِنَّ):

صُدِّرَتْ جُمْلَةُ جَوَابِ الْقَسَمِ بِ (إِنَّ)؛ تَأْكِيدًا لَتَقْوِيَةِ تَحْقِيقِ وَقُوعِ الْجَوَابِ⁽¹⁾، أَيْ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَوَاقِعٌ، أَيْ: لَكَائُنْ لَا مُحَالَةَ، فَلَا مَجَالَ لِلشَّكِّ وَالْإِفْتِرَاءِ⁽²⁾. وَلَمَّا كَانَ الْمُخَاطَبُونَ بِذَلِكَ سَاعَةً نَزُولِ الْآيَاتِ هُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُعْرِضِينَ وَمَكْذِبِينَ وَمُنْكَرِينَ، فَقَدْ حُسِّنَ تَوْكِيدُ الْخَبَرِ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الْإِنْكَارِ.

معنى (ما) ودلائلها في ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ موصولة بمعنى (الذي)، وهي اسم (إِنَّ)، و﴿تُوعَدُونَ﴾ صِلَتُهَا، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: إِنَّ الَّذِي تُوَعَدُونَهُ لَوَاقِعٌ⁽³⁾، وَخُصَّ الْمَوْعُودُ بِمَجِيءِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْمَذْكُورَ عَقِيبَ هَذِهِ الْآيَةِ عِلَامَاتُ الْقِيَامَةِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْعُودِ هُوَ الْقِيَامَةُ فَقَطْ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ كُلُّ مَا تُوَعَدُونَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى عُمُومِ لَفْظِ الْمَوْصُولِ⁽⁴⁾.

نكتة التعبير بالمضارع ﴿تُوعَدُونَ﴾ مبنياً للمفعول، وبيان المخاطب به:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُوعَدُونَ﴾، أَيْ: مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَمِنْ الْبَشَائِرِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا أَمْرًا مُسْتَمَرًّا؛ فَقَدْ عُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمُضَارِعِ الدَّالِّ عَلَى التَّجَدُّدِ، "وَبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّهُ الْمَرْهُوبُ لَا كَوْنَهُ مِنْ مَعْيَنٍ مَعَ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مِمَّا تُوَعَّدُ بِهِ اللَّهُ عَلَى

يَحْسُنُ تَوْكِيدُ
الْأَخْبَارِ لِمُوَاجَهَةِ
الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ

خُوطِبُوا بِمَا
يَعْلَمُونَ، لَوْ
أَنَّهُمْ كَانُوا
يَعْقِلُونَ

لَا يَنْقُطِعُ الْوَعْدُ
وَلَا الْوَعِيدُ؛
اسْتِدْأَمَةً
لِلرَّغِيبِ
وَالْتَهْدِيدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 423.

(2) الدُّرَّةُ، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 10 / 376.

(3) ابن عادل، اللباب: 20 / 67.

(4) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 8 / 454، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 423.

لسانِ مُحَمَّدٍ ﷺ⁽¹⁾. أَمَّا الْمُخَاطَبُونَ بِهِ؛ فَهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ أَصَالَةً⁽²⁾، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِمَّا يَصْلُحُ لِلخِطَابِ.

نَكْتَةُ حَذْفِ مَفْعُولِ الْوَعْدِ:

مَفْعُولُ الْوَعْدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَقْعٍ﴾ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: مَا تُوَعَدُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ⁽³⁾، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا "قِيَامُ السَّاعَةِ، وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ، وَبَعْثُ الْأَجْسَادِ، وَجَمْعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَمَجَازَاةُ كُلِّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ: إِنَّ خَيْرًا؛ فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا؛ فَشَرٌّ، إِنَّ هَذَا كُلَّهُ «لَوَقْعٌ»، أَي: لَكَائِنْ لَا مُحَالَةَ"⁽⁴⁾، فَهُوَ وَاقِعٌ بِكُمْ وَنَازِلٌ عَلَيْكُمْ⁽⁵⁾، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى "ذَكَرَ عَقِيبَ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْقِيَامَةُ فَقَطْ"⁽⁶⁾. وَإِنَّمَا حُذِفَ مَفْعُولُ الْوَعْدِ لِلْعِلْمِ بِهِ، وَلِدَاخِلِ الرَّهْبَةِ فِي نَفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ، وَاخْتِصَارًا لِلْأَلْفَاظِ طَلَبًا لِلْإِيجَازِ.

نَكْتَةُ تَوَالِي الْمُؤَكِّدَاتِ فِي الْآيَةِ:

لَمَّا تَمَّتْ هَذِهِ الْأَقْسَامُ، مُشْتَمِلَةً عَلَى أُمُورٍ عِظَامٍ، مُنْبِهَةً عَلَى أَنَّ أَسْبَابَهَا مِنَ الرِّيحِ وَالْمِيَاهِ كَانَتْ مَعَ النَّاسِ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْقِيَامَةُ كَذَلِكَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، قَالَ ذَاكِرًا لِلْمُقَسَّمِ عَلَيْهِ مُؤَكِّدًا لِأَجْلِ إِنْكَارِهِمْ: ﴿إِنَّمَا﴾⁽⁷⁾، ثُمَّ "دَخَلَتِ اللَّامُ عَلَى خَبَرٍ (إِنَّ) لِلتَّأَكِيدِ؛ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعُ تَأَكِيدٍ؛ لِأَنَّ الْقِسْمَ يُوَكِّدُ بِهِ الْكَلَامَ"⁽⁸⁾.

مِنْ مُحَاسِنِ
نَظْمِ الْكَلَامِ
حَذْفُ مَا تُذَرِّكُهُ
الْأَفْهَامُ

مُوَاجَهَةُ الْإِنْكَارِ،
وَقَطْعُ الْحُجَجِ
وَالْأَعْذَارِ

(1) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 21 / 167.

(2) الْحَلِيُّ، تَفْسِيرُ الْجَلَالِينَ، ص: 784.

(3) ابْنُ الْجَوْزِيِّ، زَادَ الْمَسِيرَ: 4 / 383.

(4) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 8 / 297.

(5) اللَّوَرْدِيُّ، النُّكْتُ وَالْعَيُونُ: 6 / 177.

(6) الْفَخْرُ الرَّازِيُّ، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 30 / 768.

(7) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 21 / 167.

(8) الْمُنْتَجَبُ الْهَمْدَانِيُّ، الْكِتَابُ الْفَرِيدُ: 6 / 308.

وجاءت الجملة اسميَّة؛ للدَّلالة على الثُّبوت والدَّوام، وهذا أيضًا من ضروب توكيد الكلام، والغرض من ذلك مواجهة إنكار الكافرين الذين كذَّبوا القرآن، وكَفَرُوا بِالْبَعْثِ والجزاء.

نكتة التَّعبير باسمِ الفاعل (وَأَقْعُ):

توكيد الوقوع،
وأنَّه غيرُ مَرْدُودٍ
ولا مدفوعٍ

قوله تعالى: " (لَوَقْعُ) ، أي: متحمِّمٌ وقوعه، من غير شكٍّ ولا ارتياب⁽¹⁾، وفي التَّعبيرِ باسمِ الفاعل دلالةٌ "على تحقُّق وقوعه؛ لأنَّه حقيقةٌ في الحالِ اتِّفاقًا، فيفيد التَّعبيرُ به التَّحَقُّقُ في الماضي"⁽²⁾، ومن هنا كان التَّعبير باسمِ الفاعل دالًّا على التَّأكيد⁽³⁾.

بلاغة الاستِعارة في قوله تعالى: (لَوَقْعُ):

في الوقوع إشارة
إلى الاستقرار،
وتحقيق وعيدِ
العليِّ القهار

(الواقِعُ) في كلام العرب: الثَّابِت، وأصله عِنْدَهُمْ: "السَّاقِطُ على الأرض، فاستُعيرَ للشَّيء المحقَّق تشبيهًا بالمستقرِّ"⁽⁴⁾؛ لأنَّ الذي يَقَعُ على الأرض؛ فإنَّه يستقرُّ عليها، ويثَبَّت، مع ما في التَّعبير بمفردة الوقوع من معاني السُّقوط من علٍّ، والتَّحطيم والتَّهشيم ونحو ذلك.

❁ الفروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّشْر والنَّثْر والتَّفْرِيقُ:

النَّثْر مُخْتَصٌّ
بتفريق الكثير،
ولا يُستعملُ
في التَّفْرِيقِ
بين شيئين،
وفي النَّشْرِ فتحُ
وَبَسْطُ

(فرق) تدلُّ تصريفاته على تمييزٍ وتزْيِيلٍ بين شيئين⁽⁵⁾، فيقال: فَرَّقَ بين الحقِّ والباطل، ولا يقال: نَثَرَ بينهما، ويُستعملُ التَّفْرِيقُ في تشبِيتِ الشَّملِ والكلمة، كما في قول الله ﷻ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: 102]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَبِّي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: 94].

(1) السَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 904.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 510 / 19.

(3) اليَّهَّاب الخفاجي، عناية القاصي: 296 / 8.

(4) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 423 / 29.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرق).

وَنَثَرُ الشَّيْءِ: نَشَرُهُ وتَفْرِيقُهُ⁽¹⁾، ويقال: نَثَرَ الحَبَّ والجَوَزَ والسُّكَّرَ، أي: رماه متفريقاً⁽²⁾، ويتبين ممَّا سبق فرقٌ دقيقٌ بين (النَّثَر) و(التَّفْرِيق)، وهو أنَّ النَّثَرَ مَخْتَصٌّ بتفريق الكثير، ولا يُسْتَعْمَلُ في التَّفْرِيقِ بين شَيْئَيْنِ، وأنَّه دالٌّ على نَشَرِ هذا الكثيرِ مع تفريقه. و(نشر) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتَحِ شَيْءٍ وَتَشَعُّبِهِ، ومنه: نشرتُ الكتابَ: خلاف طويته⁽³⁾، والنَّشْرُ في الأصل: بَسَطُ الشَّيْءِ ومُدُّه، ونقيضه: الطِّيُّ⁽⁴⁾، والمعنى المحوري لجذره: تَفْرِيقٌ بِبَسَطٍ ومُدٍّ⁽⁵⁾.

وقد أُوْثِرَ لفظُ (النَّشْر) دون النَّثَرِ والتَّفْرِيقِ في قولِ الله ﷻ: ﴿وَالنَّشْرَ نَشَرًا﴾؛ لما في النَّشْرِ مِنْ فَتْحٍ وَبَسَطٍ، فَمِمَّا ورد في تفسير قولِ الله ﷻ: ﴿وَالنَّشْرَ نَشَرًا﴾: أَنَّهَا الملائكةُ الموكِّلون بالسُّحُبِ، ينشرونها⁽⁶⁾، أو ينشرون أجْنَحَتَهُمْ في الجَوْعِ عند النُّزولِ بالوحي⁽⁷⁾. وورد أَنَّهَا الملائكةُ تَنَشِّرُ كُتُبَ الله ﷻ⁽⁸⁾، وَأَنَّهَا الرِّيحُ يُرْسِلُهَا اللهُ تَعَالَى نَشْرًا بين يَدَي رَحْمَتِهِ، أي: تَنَشِّرُ السَّحَابَ لِلغَيْثِ⁽⁹⁾.

وَأَنَّهَا الأمطارُ؛ لأنَّ الله ﷻ يَنْشُرُ بها النَّبَاتَ بقدرته⁽¹⁰⁾، والنَّشْرُ في هذا التَّأْوِيلِ بمعنى: الإحياء، يقال: نشر اللهُ تَعَالَى المَيِّتَ وَأَنْشَرَهُ، أي: أَحْيَاهُ⁽¹¹⁾، وفي إحياء النَّبَاتِ فَتَحٌ وَبَسَطٌ.

وورد أَنَّهَا الصُّحُفُ تُنَشَّرُ عَلَى اللهُ تَعَالَى بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ⁽¹²⁾، قال اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10]، أي: فَتِيحتُ بعد أن كانت مطوَّيَّةً، والمراد: صُحُفُ الأَعْمَالِ التي كَتَبَتْ

(1) الزَّاعِب، المفردات: (نثر).

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، والزَّبيدي، تاج العروس: (نثر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نشر).

(4) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 583.

(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيِّ المؤلِّ: (نشر).

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 155/ 19.

(7) السُّوكاني، فتح القدير: 430/ 5.

(8) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 127/ 24، والماوردي، التُّكْتُ والعيون: 176/ 6، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 155/ 19.

(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 155/ 19.

(10) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 127/ 24، والماوردي، التُّكْتُ والعيون: 176/ 6، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 155/ 19.

(11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 155/ 19.

(12) للماوردي، التُّكْتُ والعيون: 176/ 6، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 155/ 19.

الملائكة فيها ما فعل أهلها من خيرٍ وشرٍّ، تُطَوَّى بالموت، وتُنشَر يوم القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها⁽¹⁾.

وبعدما ذكر الطبري أكثر من تأويل في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَالنَّشْرِ نَشْرًا﴾، قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نَشْرًا، ولم يَخْصَّص شيئاً من ذلك دون شيء... ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشراً"⁽²⁾، فدل هذا على أن لفظ النشْرِ جامع لكل ما سبق ذكره، وهذا من أسرار إثارة لفظه دون النثر والتفريق في هذه الآية.

وفي قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (نَشْرًا) - بفتح النون وإسكان الشين - على المصدَر، وقال القرطبي بعد ذكره هذه القراءة: "فكانها كانت مطويةً، فُنشِرَت عند الهبوب"، ثم قال: "وقد قيل: إن نَشْرًا (بالفتح) من النشْرِ الذي هو خلاف الطي على ما ذكرنا، كأن الرِّيح في سكونها كالمطوية، ثم تُرْسَل من طيها ذلك، فتصير كالْمُنْفَتحة"⁽³⁾.

الْوُقُوعُ وَالْهُوِيُّ وَالسَّقُوطُ:

الهُوِيُّ أَحْصُ مِنَ السَّقُوطِ، فهو سَقُوطٌ شديدٌ، وهذا ظاهرٌ في قول الله ﷻ: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ۙ نَارٍ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: 8 - 11].

أما السَّقُوطُ: فقد يكون شديداً، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا

الهُوِيُّ سَقُوطٌ
شديدٌ، والْوُقُوعُ
في الأصل
ثُبُوتُ الشَّيْءِ
واستقراره

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19 / 234.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23 / 578.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7 / 229.

كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ [الطور: 44]، وقد يكون خفيفًا، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّقَّةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: 59].

وأما الوقوع؛ فهو في الأصل: ثُبُوتُ الشَّيْءِ واستقراره⁽¹⁾، وَيُعْبَرُ به عن السُّقُوطِ أيضًا⁽²⁾، ويدلُّ معنى الثُّبُوتِ الذي في الوقوع على حدوثِ الشَّيْءِ وتحققه بلا ريب؛ ولاختصاصه بهذا أوثر لفظه دون الهويِّ والسُّقُوطِ في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَقْعٍ﴾.

(1) الرَّاغِب، المفردات، والسَّمِين الحلبِيُّ، عُمدَةُ الحُقَاط: (وقع).

(2) السَّمِين الحلبِيُّ، عُمدَةُ الحُقَاط: (وقع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القيامة إلى سورة النَّازِعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القيامة إلى سورة النَّازِعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغنامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.

مج. 65، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 4-17-646-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القيامة إلى سورة النَّازِعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 4-17-646-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"